بعد أربعة عقود ونصف من الثورة اليمنية

ثقافة الثورة هل صنعت ثورة ثقافية في اليمن؟

الكاتب والمفكر اليمني/ عبد الباري طاهر في حوار مع (١٤أكتوبر) :

الحداثة في اليمن لا تزال وافدة ومحاصرة والمجتمع التقليدي أقوى من مجتمع الحداثة

أسئلة لم نطرحها من قبل.. عن ماهية ثقافة الثورة التي كان يحملها الثوار اليمنيون وهل حملت الثورة اليمنية ثقافة جديدة للشعب؟! وحصل بسببها تغيير جذري للشعب اليمني؟!

اليوم ونحن بعد أربعة عقود ونصف من الثورة اليمنية نناقش هذا الموضوع المثير في حوار صريح مع الأستاذ/ عبد الباري طاهر الباحث في مركز الدراسات والبحوث اليمني والكاتب الصحفي المعروف فإلى محتوى هذا اللقاء :

لقاء/ وردة العواضي

عبدالباري طاهر

الثقافة والثورة

● **ما هي الثقافة التي كان يحملها الثوار، وهل حملت الثورة اليمنية ثقافة للمجتمع؟**

– لاشك في أن الثوار إذا ما قرأنا تجربة الثورة اليمنية سبتمبر وأكتوبر، نلاحظ أن معظم الثوار هم طلاب مدارس متخرجون من مدارس حديثة حيث كانت المدراس في صنعاء وعدن بنموذج حديث ودراسة حديثة ترتبط بالعصر وتطورات العصر ويغلب عليها الاتجاه القومي والاتجاه العلمي والحداثي، فكان هؤلاء الطلاب الذين هم من خريجي المدارس الثانوية والإعدادية والذين التحقوا بعد ذلك بالكليات العسكرية يحملون الفكر الجديد الآتي من مصر والشام ومن الكتب الحديثة، ومن التواصل مع الاتحاد السوفييتي وفرنسا وبريطانيا، ولكن معظم هؤلاء الشباب الذين تعلموا الدراسات الحديثة والعلم الحديث كانوا يعيشون في واقع متخلف وواقع معزول ومغلق، فالذي لا يعرف صنعاء في الخمسينات والستينات لا يستطيع أن يقدر الحدث الذي حصل بعد ١٩٦٢م، وأيضاً الذي لم يعرف عدن في الأربعينات والخمسينات ومحميات الجنوب لا يستطيع أن يدرك التطورات التي حصلت منذ ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م فهؤلاء الشباب كانت لديهم ثقافة تنتمي إلى العصر ولكن ليس بذلك العمق ولا بذلك التطور، لأنهم أيضاً في مجتمع معزول ومجتمع متخلف ومجتمع منغلق وكان لديهم ثقافة مزدوجة جزء منها من الموروث الآتي من البيئة القديمة المتخلفة والرجعية وجزء آت من العصر، ومن هنا عندما قامت الثورة كانت شعاراتها ربما تنتمي إلى النصر وإلى الثورة القومية أكثر من ما تنتمي إلى طبيعة التطورات داخل المجتمع اليمني، ومن هنا واجهت الصعوبات والمشاكل والحرب الضارية، ولا شك أن الحرب التي استمرت في الشمال من ١٩٦٢ – ١٩٦٨م، وفي الجنوب استمرت إلى السبعينات قد أعاقت الحداثة والتطور وشكلت عامل تلجيم وكبح للتطور في الثورة اليمنية، ورغم أن الثقافة العصرية المتواضعة والمحصورة للثورة اليمنية فهي لاتختلف عن حال شقيقاتها من البلدان العربية وتحديداً في مصر وسوريا والعراق والجزائر، لذلك ما أن انتكست الثورة العربية في مصر وسوريا، كان هناك تراجع في اليمن حيث حصل انقلاب في ٥ نوفمبر وهو انقلاب يتسم بالمحافظة والتقليد أكثر مما ينتمي إلى الحداثة والعلمانية، وكانت الانجازات التي تحققت في المستوى الثقافي آنذاك في الثورة اليمنية ظلت محاصرة ومحصورة، ونلاحظ ذلك حتى اليوم بعد مرور نصف قرن على الثورة اليمنية نجد أن التغيير والحداثة والعلمنة والعقلانية لا تزال محاصرة، فلم يحصل تغيير جوهري وجذري وشامل شأنه من شأن المنطقة العربية ولكن اليمن ربما تكون أكثر صعوبة لأسباب عديدة تأتي في مقدمتها تركيبة المجتمع التقليدي أقوى من مجتمع الحداثة (مؤسسات المجتمع المدني سواء الأحزاب أو الصحافة أو الجمعيات والنقابات المختلفة) فالحداثة في اليمن لا تزال وافدة ولا تزال محاصرة ولا تزال البيئة التقليدية والبيئة المتخلفة هي السائدة، وبإمكانك أن تلاحظي هذا كصحافية من خلال نشاطك اليومي الصحافي وعلاقتك أيضاً بالهيئات والنخبة السياسية والمثقفة، أيضاً الناشطة في المجال المدني والإبداعي ما تزال هي الأخرى محدودة التأثير.

التعليم والتغيير

● **هذا يعني أن التعليم لم يلعب دوره في تغيير السلوك؟**

– هذا صحيح، وللأسف الشديد أيضاً هيمنة التعليم التقليدي له دور فالتعليم الحديث الذي كان موجوداً في عدن في الأربعينات والخمسينات، ووجد أيضاً في صنعاء في الخمسينات والستينات تراجع كثيراً وأصبح التعليم ذا طابع ديني سلفي وسياسي مؤدلج ويتسم بقدر كبير من المحافظة ويرفض كل جديد وتجديد، فالتغيير الذي عمله التعليم تغيير محدود وهو أن الأمية كانت في الستينات في صفوف الرجال والنساء شبه كاملة، تتجاوز ٩٠٪ من الرجال وشبه كاملة لدى النساء، لكن الآن نسبة المتعلمات من النساء ما يقرب ٢٠٪ والمتعلمين من الرجال يتجاوز ٣٠٪.

تراجع الثقافة

● **ما هي أسباب عدم انتعاش الثقافة بين صفوف المتعلمين، هل هي بسبب انتشار نمط معين من الكتب وعدم توفر الكتب التي تخاطب جميع الفئات بمختلف أعمارهم؟**

– هذا صحيح وهو جزء من السبب، فإذا لاحظت الآن ستجدين أن الكتاب السائد والمنتشر سواء في المكتبات أو في معارض الكتب، هو الكتاب التقليدي، بينما كتب الحداثة والعصر أصبحت غير موجودة، فالموجود في المكتبات وفي دور الكتب وفي معارض الكتاب السنوية التي تقام هو الكتاب السلفي والكتاب التقليدي ولكن هذا جزء واحد من السبب، فهناك أيضاً الكتاب المدرسي الذي من المفترض أن يساهم في صناعة الثقافة بين الطلاب وهو مهم جداً، فالكتاب المدرسي هو كتاب يعتمد في أغلبه على الجانب الديني ويستبعد العلم والمعرفة ويستبعد الثقافة الحقيقية والمنهج العلمي العصري.

حقائق الثورة

● **بالنسبة للكتب التي كتبت عن الثورة اليمنية هل ذكرت كل حقائق الثورة اليمنية أو هناك حقائق غفلت عنها؟**

– هو كتب الكثير عن الثورة ولكن لم يكتب عن ما بقي من تجربة الثورة وهو الشيء الأكثر، وما كتب عن الثورة لم يكن كلها صائباً ولم يكن كله دقيقاً فيغلب عليه كثير من النواقص وكثير من الأخطاء وكثير من العيوب، وللأسف الشديد هذه الكتابات لم تتأدب حتى الآن كتوثيق وتدوين حقيقي ونقد حقيقي أيضاً عن الثورة اليمنية.

● **وماذا تعتقد سبب هذا؟**

– السبب حتى الآن أنه لم يكن يوجد الاهتمام الكامل بحقائق الثورة، فالناس منصرفون إلى هم آخر وإلى تفكير آخر ولم يهتموا بدراسة تجربتهم بنقدها وباستيحاء العبر منها وبنقد ما هو سلبي فيها وتزكية ما هو عقلاني وصائب، فهذا الجانب بتدوين الحقائق الكاملة عن الثورة، حتى الآن ضعيف إن لم يكن مغيباً.

متطلبات التغيير

● **ماذا نحتاج لتحصل ثورة ثقافية وتغيير جذري في المجتمع؟**

– البلد بحاجة إلى إقرار بوجود مشكلة حقيقية، المشكلة أن اليمن لا تزال محافظة على سمتها التقليدية رغم القشور الحادثة في التعليم وفي الصحة وفي التربية وفي الخطاب، لكن جوهر المشكلة أن اليمن حافظت على تقليديتها، على تركيبتها القبلية، على تخلفها ونحتاج إلى تغيير شامل؛ تغيير في الجوانب المادية في البناء في الاقتصاد في السياسة وفي الفكر وفي خطاب المسجد وفي خطاب الصحافة الرسمية، يعني تغيير شامل، وهذا يحتاج إلى مزيد من الحرية ومزيد من الديمقراطية لأنه بدون هذه المقومات البلد لن تتغير لأن البلد التخلف فيها كان شاملاً وكاملاً والتغيير الذي حصل في الثورة على مدى نصف قرن لا يزال أثره محدود في عقول ووجدان مشاعر الناس، فلابد أن يكون في حرص من المجتمع ومن مؤسسات المجتمع المدني ومن الدولة أيضاً بأن يحصل تغيير حقيقي في البناء وفي التنمية وفي الثقافة وفي التعليم وفي كل مختلف مناحي الحياة.

دور المثقفين

● **أين دور المثقفين في قيام نهضة ثقافية، ولماذا لم يؤثروا على المجتمع؟**

– دور المثقفين محدود وتأثيرهم بالأساس على المجتمع ضعيف، بسبب وجود أمية أبجدية وأمية معرفية بكم كبير داخل صفوف المجتمع، ومع ذلك حتى دورهم المحدود لم يوظف توظيفاً عقلانياً وحياً لأن المثقفين في عزلة عن الحياة أو عدم تأثيرهم على الآخرين ربما يؤدي إلى الانكسار والانكفاء على الذات، فلم يلعبوا الدور الاهتمامي اليومي بالشأن السياسي وبالقضايا الآنية، ولم يتجهوا بشكل صحيح في المجتمع والبيئة ولذلك دورهم حتى الآن محدود، أما مؤسسات المجتمع الحديث فلا تزال هامشية ومحدودة التأثير.

الثقافة والقات

● **إذا ما أردنا أن نعرف عدد المثقفين لدينا، كيف يمكن أن نقيس ذلك من خلال الحاضرين إلى مؤسسة العفيف الثقافية؟**

– تستطيعي أن تلاحظي ذلك من خلال الحضور الموجود، فنحن في مؤسسة العفيف نعد في كل يوم في الأسبوع ندوة ثقافية، ولكن ولأن وقت هذه الندوات يتزامن مع وقت القات فلا يأتي حضور كثير، فبسبب القات يتقلص عدد المثقفين وتتراجع الثقافة في البلد، فالرجال والنساء والأطفال

يا بشير الخير

ياحبيبنا ياقائد يامشير
سير وشعبك معك ازير
في العشرين من سبتمبر قد حددنا المصير
بانتخاب قائدنا بو احمد رمز التغيير

ابني وشيد للوطن فن التعليم سيوتينة يفرح بها الفقير
سير على الدرب واكمل الانجاز قدورة الله فوق كل المقادير
انت المقدام وعقل البلد الرجيح صححت الوضع الخطير
سير ياصائع المنجزات والطريق الكل يرخوان بفعله الحقير
يارمز الديمقراطية في يافت الخروس والحارس الله ونعم النصير
بصناديق الاقتراع قرر الشعب اختيار الخيل وبشير الخير
ياحبيب الشعب ياعاشق التطور والتجديد بعد اليوم يفكر تفكير
شد الحزام لمن يلعب بقوتكم ان مسؤول صغير او وزير
نحن معك نحو الاصلاح والتغيير وجنودك المغاوير
قود السفينة إلى ساحل الأمان ياربان واصف انت ربانها الجدير

كلمات الرائد / علي حسن الزميلي
أمن م/عدن

الثورة السبتمبرية في انتظار الفجر

نجوى عبدالقادر

منذ انبثق من ليل الصمت العميق ، واخترق اسوار العزلة ، مخاطباً حكم الامامة .. لم يكن خطابا ، بل إدانه واتهام :

لماذا لي الجوع والقصف لك ؟
يناشدني في الجوع ان اسألك ؟
لماذا .. وفي قبضتيك الكنوز
تمد إلى لقمتي أنملك ؟
وتقتات جوعي وتُدعى النزيه
وهل اصبح اللص يوماً ملك ؟!

صوت الشاعر والمثقف اليمني الذي كان ابرز رموز المقاومة في مسيرة الثورة والكفاح في اليمن ، رغم ليل القهر والتخلف السائد في البلاد ، كان لايعدم الرؤية للمستقبل والايمان بقدوم الفجر :

غداً ، لاتقل اين مني غد
خلا لم تسمّر يداك الفلك
غداً لن اصفق لركب الظلام
سأهتف : يافجر ما أجملك

لم يكن الانتظار سهلاً ، فالانتظار في ظل الطغاة مجزرة تُحزّ بها رؤوس كلما تأخر بزوغ الفجر :

فإلى كم نسير فوق دمانا
أين أين الفرار هل نحن ندري ؟!
كلنا في السرى حيارى .. ولكن
كلنا في انتظار ميلاد فجر

وما اروع النشيد عندما يظل الفجر ، فتسكر به قلوب كثيرة .. قلوب تبتلت في محراب الليل حتى شف منها الروح والعظم :

افقنا على فجر يوم صبي
فيا ضحوات المنى اطربي
أتدرين ياشمس ماذا جرى ؟
سلبنا الدجى فجرنا المختبي

لقد كان للأدب اليمني – والشعر منه بخاصة – دور كبير قبل ثورتي ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر ، وان كان ذلك مقصوراً على بعض الادباء الذين ناضلوا في سبيل قضايا شعبهم اليمني والذين ارتبط بعضهم بالنضال السياسي في الممارسة اليومية .

ورغم ليل القهر والتخلف السائد في البلاد كانت اصوات الشعراء يمتزج فيها الامل واليأس بالصبر والجزع .. وهذا الشاعر (علي عبدالعزيز نصر) الذي يئس من طول الانتظار بعد أن فشلت ثورة ١٧ فبراير ١٩٤٨م :

الليل طال على متاعبنا وما طال الطريق
هجعت قوافلنا فلم يظفر بطلعتنا الشروق
مابالنا في كل منعطف مسالكنا تضيق
وبكل منطلق يكاد يلفنا الصمت العميق

ونعود إلى قصيدة البردوني لنرى كيف أن الانتظار لم يكن سهلاً ، فالانتظار في ظل الطغاة مجزرة تحزّ بها رؤوس كلما تأخر بزوغ الفجر :

فإلى كم نسير فوق دمانا
اين اين الفرار هل نحن ندري !؟
كلنا في السرى حيارى .. ولكن
كلنا في انتظار ميلاد فجر

ويعطي الزبيري نموذجاً خاصاً وفريداً بين شعراء النهضة العرب ، ذلك أن مشاركته لم تقتصر على قول الشعر ، بل تعدته إلى ممارسة السياسة وقيادة مقاليدها .

وازاء هذا التنوع في تراث الزبيري ونضاله يجد النقاد انفسهم امام اشكال الادب والسياسة ، امام ماهو شاعري وفني وماهو سياسي وواقعي .

ويزداد الامر تعقيداً حين لانجد معالم فاصلة بين الاثنين ..هكذا كانت رغبة الزبيري بأن يجمع بين الحلم والواقع.. بين الشاعري والاجتماعي ، ولكن مأساته كانت تكمن في ذلك الكم الهائل من الاستبداد والظلم ، وفي ذلك التراث المعقد من العلاقات التاريخية التي تشوه المجتمع وتفتت لبناته ، لذا لم يكن مستغرباً ان يذهب الزبيري نفسه ضحية ذلك الواقع الذي سعى دائماً نحو تغييره بل والادهى من ذلك ان ترتد سهام نقده عليه .

لقد واكب الزبيري حركة ١٩٤٨م التي ارادت ان تناصب الامام في عليائه وتستبق قدوم هذا الفجر ، ولكن لاسباب موضوعية وذاتية خفتت اشعة ذلك الفجر وخنق ذلك الوليد في مهده فسارت في محراب ذلك اليوم السابع عشر من فبراير ١٩٤٨م قافلة من الشهداء وحزت رؤوس ، ولم يكن امام الزبيري الا ان يبكي قناديل الضوء وبشارات الفجر الجديد :

انا راقبت دفن فرحتنا الكبرى
وشاهدت مصرع الابتسامة
ورأيت الشعب الذي نزع القيد
وابقى جذوره في الامامة
واذا بالطبول عادت طبولاً
واذا بالفطيم يلغي فطامة
واذا بالدستور يصرعه البغي
ويلقى كصانعيه حمامة
نحن شئنا قيامه لفخار
فأراه الطغاة هول القيامة

ولكن الشاعر الزبيري في اعقاب ثورة ١٩٤٨م يستشف الواقع ويلمح ماوراءه ، فعندما اكتسحت اليمن موجة من اليأس ، وركع الشعب أمام الطغاة وتكاثرت التهاني والمبايعات للجلاددين قال وهو ينتظر فجر ثورة اخرى جديدة :

هو الشعب حق مشيئاته ** صواب ورشد خطيئاته
له نبضنا واحاسيسنا ** فما نحن الا نباتاته
ولكنه في المجال البعيد ** تعلو على الظلم راياته

الخلود لشهداء الوطن والثورة والوحدة